

التحول من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري: الخلفيات والأبعاد
The shift from ideological conflict to cultural conflict: Backgrounds
and dimensio

تاريخ النشر: 2020/06/30	تاريخ القبول: 2020/06/18	تاريخ الارسال: 2019/08/25
-------------------------	--------------------------	---------------------------

*د. دالغ وهيبه

جامعة الجزائر 3

wahiba10@gmail.com.dalaa

ملخص :

يشهد العالم مجموعة من التحولات غيرت في بنية النظام الدولي، وأثرت على أنماط الصراعات وطرق إدارتها خاصة بعد نهاية الحرب الباردة التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخ الصراعات، فقد تميزت بالصراع الأيديولوجي بين المعسكر الشرقي بزعامة الإتحاد السوفييتي، و المعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، غير أن الصراع أخذ أشكالاً وأبعاداً جديدة بعد نهاية الحرب الباردة وظهور مايسمى بالنظام الدولي الجديد، حيث كان الدين محركاً أساسياً لمختلف الصراعات، لذلك ظهر مفهوم الصراع الحضاري، وتكمن خطورة هذا الصراع في استعماله كمبرر للسيطرة على الدول الضعيفة، ونشر الثقافة والقيم الغربية في إطار مشروع حضاري تغريبي في مواجهة الحضارة العربية الإسلامية وهو ما أجم الصراعات في العالم، وبذلك فإن الحوار الحضاري يبقى الحل الوحيد للتعايش والسلام بين مختلف الثقافات والأديان.

الكلمات المفتاحية : التحول ، الصراع الأيديولوجي ، الصراع الحضاري ، النظام الدولي الجديد .

*المؤلف المرسل : دالغ وهيبه

Abstract:

The world is witnessing a set of transformations that change in the structure of the international system and affected the patterns of conflict management methods, especially after the end of the cold war, which is an important stage in the history of the conflict, have been marked by ideological conflict between the eastern camp led by the Soviet Union and the western camp, led by the United States of America, however the conflict taking new forms and dimensions after the end of the cold war and the emergence of the so-called new international order, where religion was a key engine of various conflicts, and therefore the concept of cultural conflict, the seriousness of this conflict lies in its use as an excuse to control the weak States, the diss

emination of culture and values in the framework of civilized project in the face of Arab Islamic civilization, which fuelled conflicts in the world, thus, the civilized dialog remains the only solution of coexistence and peace among the different cultures and religions.

Keywords: transition , ideological conflict ,cultural conflict, the new international order.

مقدمة:

لقد تعددت أشكال الصراع في العالم خاصة بعد التحولات الدولية التي شهدتها نهاية مرحلة الحرب الباردة، كالعولمة وأبعادها المختلفة، وتعدد الوحدات الدولية ذات المصالح المتضاربة، وما نتج عنه من تعدد مصادر الصراع، كما أن سعي بعض الدول إلى فرض هيمنتها على النظام الدولي بفضل امتلاكها لعناصر القوة والسيطرة كان محركاً أساسياً لمختلف الصراعات، وقد أدت نهاية الحرب الباردة التي تميز فيها الصراع بالطابع الأيديولوجي إلى بروز بعد آخر للصراع أشمل وأخطر من سابقه، يتمثل في الصراع الحضاري الذي أصبح يميز العلاقات الدولية، وقد برزت معالم هذا الأخير في مجموعة من الظواهر أهمها ظاهرة الإرهاب التي أخذت منحاً تصاعدياً معقداً بسبب توظيفها للبعد الديني والقيمي بهدف تحقيق مصالح متباينة بين أطراف الصراع بعيدة عن خدمة الإنسانية، وعن نشر الوعي والرقى الحضاري.

ولهذا فإن الإشكال المطروح هو:

كيف أثر التحول من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري على العلاقات الدولية؟
وتندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

- 1- كيف أثرت نهاية الحرب الباردة على طبيعة الصراع الدولي؟
- 2- ماهي مظاهر الصراع الأيديولوجي والحضاري؟
- 3- ماهي أسباب التحول من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري؟
- 4- فيم تتمثل نتائج هذا التحول؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تم طرح مجموعة من الفرضيات:

- 1- نهاية الحرب الباردة أدت إلى التحول من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري
- 2- البعد الديني هو المحرك الأساسي للصراع الحضاري.
- 3- حل الصراع بأبعاده المختلفة مرتبط بآلية الحوار.

➤ منهج الدراسة:

اعتمدنا في تحليل الدراسة على مجموعة من المناهج في إطار التكامل المنهجي الذي أصبح ضرورة في الدراسات الأكاديمية، فقد استعنا بالمنهج المقارن للمقارنة بين مرحلتين زمنييتين مهمتين في تاريخ الصراعات، وهي مرحلة الحرب الباردة، ومرحلة ما بعد نهاية الحرب الباردة أو ما يعرف بالنظام الدولي الجديد، كما استعنا به في تحديد الفرق بين

الصراع الحضاري والصراع الأيديولوجي، بالإضافة إلى اعتمادنا على المنهج الوصفي الذي استعنا به في تشخيص ظاهرة الصراع من خلال وصف تجلياته ومرتكزاته لتحديد أنواع الصراع وأبعاده المختلفة.

➤ الإطار النظري:

اعتمدنا في تحليلنا لهذا الموضوع على النظرية البنائية التي تركز على دور الأفكار والقيم في فهم الاختلاف والصراع داخل المجتمعات، كما استعنا بالمقاربة النسقية لفهم دور التحول في النسق الدولي على تغير أنماط الصراع.

وقد حاولنا تحليل هذا الموضوع من خلال تحديد المفاهيم المتعلقة بالصراع الحضاري والأيديولوجي، والبحث عن أسباب الانتقال من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري، وتداعيات هذا الانتقال على الوحدات الدولية في مختلف الأبعاد.

أولاً: الصراع الأيديولوجي والحضاري: دراسة مفاهيمية

فهم أي موضوع يتطلب تحديد المفاهيم المرتبطة به، والتي تساعد على استيعابه ومعرفة خلفياته وأبعاده، كما أن المفاهيم أصبحت أدوات توظفها الدول الكبرى للسيطرة على الدول الضعيفة خدمة لمصالحها، وتحقيقاً لأهداف سياستها الخارجية.

1- تعريف الأيديولوجيا:

الأيديولوجيا مفهوم حديث جاء بعد الثورة الفرنسية وهي مركبة من مصطلحين، هما idea فكرة و loges علم، وتعني علم الأفكار¹، وأول من استعمل هذا الاصطلاح الفيلسوف الفرنسي "ديستات تريسي" (1755 - 1836) (Destutt Tracy) في كتابه عناصر الأيديولوجيا. ويعني "تريسي" بالأيديولوجيا علم الأفكار أو العلم الذي يدرس مدى صحة أو خطأ الأفكار التي يحملها الناس، وهذه الأفكار التي تبني منها النظريات والفرضيات التي تتلاءم مع العمليات العقلية لأعضاء المجتمع.

وانتشر استعمال هذا الاصطلاح بحيث أصبح لا يعني علم الأفكار فحسب بل النظام الفكري والعاطفي الشامل الذي يعبر عن مواقف الأفراد حول العالم والمجتمع والإنسان. وقد طبق هذا الاصطلاح بصورة خاصة على الأفكار والعواطف والمواقف السياسية التي هي أساس العمل السياسي وأساس تنفيذه وشرعيته².

والأيديولوجيا السياسية هي الأيديولوجيا التي يلتزم ويتقيد بها رجال السياسة والمفكرون السياسيون إلى درجة كبيرة بحيث تؤثر على كلامهم وسلوكهم السياسي وتحدد

إطار علاقتهم السياسية بالفئات والعناصر الأخرى. والأيديولوجيات السياسية التي تؤمن بها الفئات والعناصر المختلفة في المجتمع دائما ما تتضارب مع بعضها أو تتسم بالأسلوب الإصلاحي أو الثوري الذي يهدف إلى تغيير واقع وظروف المجتمع. لكن جميع الأيديولوجيات تكون متشابهة في شيء واحد ألا وهو أسلوبها العاطفي وطبيعتها المحركة لعقول الجماهير³.
تعتبر الأيديولوجيا بصورة عامة عن أفكار يعجز العلم الموضوعي برهان حقيقتها وشرعيتها، لكن قوة هذه الأفكار تظهر من خلال نغمتها العاطفية وتكتيكها المحرك للجماهير والذي يتناسب مع الحدث الاجتماعي الذي تهدف إلى القيام به، وقد اختلفت تعاريف الأيديولوجيا باختلاف الإتجاهات النظرية ونذكر منها:

➤ تعريف مانهايم: يفرق بين مفهومين للأيديولوجيا خاص وعام⁴، في مفهومها الخاص تعني الأفكار والتصورات التي يعتنقها فرد عن نفسه، أما في المفهوم العام للأيديولوجية فهي تعني جميع التصورات التي تعتنقها جماعة معينة كطبقة اجتماعية مثلا لتبرير وضعها في المجتمع.

➤ تعريف آدم شاف: الأيديولوجيا هي نسق من الأفكار يقوم في ارتكازه على نسق مقبول من القيم لتحديد اتجاهات الناس وسلوكهم إزاء الأغراض المبتغاة المتعلقة بتطور المجتمع، أو الجماعات الاجتماعية أو الأفراد⁵.

➤ تعريف كارل مان: في كتابه سوسيولوجية المعرفة قدم مجموعة من الآراء والتصورات وقدم تعريفين للأيديولوجيا:

أ-التعريف الضيق: ينطبق على أيديولوجيات الحركات السياسية المتطرفة حيث تكون الأيديولوجيا بمثابة العد الفكري والروحي لمجموعة من الأشخاص أو لحركة سياسية معينة من أجل تحقيق أهداف مرتبطة بهاته الحركة السياسية، مثل الفاشية، النازية.....الخ.

ب -المفهوم الشامل: يعتبر أنها نظام من القيم والمعتقدات والفلسفات والخرافات والعادات التي يؤمن بها مجموعة من الأشخاص، أو يؤمن بها مجتمع معين أو نظام سياسي معين، وهي التي توجه سلوك هذه المجموعات أو النظام السياسي والمجتمع في مختلف ميادين الحياة السياسية⁶.

يعبر المفهوم الماركسي للأيديولوجيا عن شكل وطبيعة الأفكار التي تعكس مصالح الطبقة الحاكمة التي تتناقض مع طموحات وأهداف الطبقة المحكومة، خصوصا في المجتمع الرأسمالي، وهو ما يفسر أسباب الصراعات والنزاعات التي ميزت المجتمعات الرأسمالية⁷. ولذلك يحدد كارل منهايم (Karl Mannheim) معنى الأيديولوجيا في كتابه الأيديولوجيا والطوبائية الذي نشره عام 1936، فيقول بأنها الأفكار المشوهة التي تطلقها الطبقة الحاكمة لتحافظ على النظام الاجتماعي الحالي أو النظام الاجتماعي السابق، أو هي التعبير الفكري لجماعة من الجماعات، وهذا التعبير يساعدها على تحقيق أهدافها وطموحاتها، والأيديولوجيا حسب آراء المفكر "منهايم" هي كلمة معاكسة للطوبائية التي يعني بها المثالية أو العمل من أجل المجموع، إن دراسة الأيديولوجيا هي من الدراسات الأساسية التي يهتم بها علم الاجتماع خصوصا علم اجتماع الدين وعلم اجتماع السياسة، وتشكل الموضوع الأساسي الذي يدور حوله علم اجتماع المعرفة.

2- تعريف الحضارة:

لقد اختلفت وتعددت تعاريف الحضارة بين المفكرين الغربيين والمفكرين العرب، منها تعريفين لصامويل هنتغتون ومالك بن نبي:

أ- تعريف صامويل هنتغتون: الحضارة هي الكيان الثقافي الأكثر سعة، وهي الأسلوب والشكل الأكثر رقيا للتجمعات الإنسانية والمستوى الأعلى للهوية الثقافية التي يحتاجها البشر لكي يتميزوا عن سائر الأنواع الأخرى، وتشكل الحضارة من عناصر موضوعية كاللغة، العرق، التاريخ، الدين، العادات والتقاليد وأنماط الحياة والمؤسسات، غير أن العنصر الأهم من هذه العناصر على الإطلاق هو الدين، فالحضارات الأساسية تباينت عبر التاريخ من خلال الديانات الكبرى في العالم⁸.

ب- تعريف مالك بن نبي: الحضارة هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده المساعدة الضرورية له في أطوار نموه من الطفولة إلى الشيخوخة، وهو يقول أن محرك الحضارة ترافقه الفكرة الدينية، وهي تعد مركب جميع الحضارات الإنسانية كدافع أولي لهضة المجتمع⁹.

ومنه وجب التفريق بين الحضارة والأيديولوجيا لأن هناك الكثير ممن يخلط بين المفهومين، فالحضارة هي أسبق من الأيديولوجيا وجودا، وهي تمتد إلى أفكار غير وضعية،

أما الأيديولوجيا فهي تحتوي على فلسفات وأفكار وضعية، فالأيديولوجيا تمثل الجزء من الكل الذي هو الحضارة.

3-تعريف الصراع

هناك من يعرف الصراع على أنه ظاهرة اجتماعية تتضمن حالة من الضغط النفسي أو عدم الارتياح الناتج عن عدم الإتفاق بين رغبتين أو أكثر من رغبة أو قد يكون تعارضا بين إرادتين أو أكثر، أما الصراع الدولي فيعكس حالة التعارض بين المصالح أو اختلاف في القيم بين مجموعتين أو أكثر. أما المفهوم الشامل للصراع فهو حالة يكون سببها التعارض الحقيقي أو التخيلي للمصالح والقيم والاحتياجات، وقد يكون الصراع داخليا (في نفس الشخص) أو صراعا خارجيا (بين شخصين أو أكثر)، فمفهوم الصراع يفسر العديد من جوانب الحياة الاجتماعية مثل التعارض في المصالح والاختلاف الاجتماعي والحروب بين الأشخاص أو المنظمات أو الجماعات، ومن الناحية السياسية يشير إلى الثورات أو الحروب أو النضالات والتي يستخدم بها القوة مثل الصراع المسلح¹⁰.

4-الصراع الأيديولوجي:

نعني به الصراع بين مختلف الأفكار والفلسفات والقيم والإعتقادات التي تعتنقها جماعات مختلفة أو نظام سياسي معين في مواجهة نظام آخر مناقض له¹¹.

5-الصراع الحضاري:

الصراع الحضاري أشمل من الصراع الأيديولوجي وقد يحتويه، حيث تتعدد وتتشعب عناصره، كما يصعب فيه تحديد أطرافه مقارنة بالصراع الأيديولوجي، ويتفق الصراع الحضاري مع الصراع الأيديولوجي في كون أنهما يستعملان كوظيفة لتبرير سلوك أطراف معينة من أجل تحقيق المصلحة.

ثانيا: الصراع الأيديولوجي بين الشرق والغرب

لقد ظهر الصراع الأيديولوجي مع ظهور الأيديولوجيا وتطورها، فالطبيعة البشرية مختلفة من إنسان إلى آخر فكل وفكره، وكل والعقيدة التي يؤمن بها، وكل وفلسفته في الحياة، كما يظهر الصراع عندما يحاول فرد أو جماعة معينة أو نظام سياسي فرض أيديولوجيته على الآخرين وجعلها هي المسيطرة، وقد ظهر الصراع بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبرز بشدة أثناء الحرب الباردة.

1- طبيعة الصراع الأيديولوجي أثناء الحرب الباردة

كان الصراع الأيديولوجي أثناء الحرب الباردة بين أيديولوجيتين رئيسيتين، الأولى تحمل مشروعا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا تحكمه نظريات سياسية معينة، وهي الأيديولوجيا الليبرالية الغربية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية¹²، والأخرى تحمل مشروعا سياسيا واجتماعيا مناقضا له أبعاد اقتصادية فكرية مختلفة، وهي الأيديولوجيا الشيوعية ا بزعامة الإتحاد السوفييتي، فكل طرف كان يسعى لفرض أيديولوجيته على حساب الأخرى من خلال احتوائها، لذلك فإننا نلاحظ أنه خلال هذا الصراع ظهرت عدة نظريات فكرية تعمل على تفوق أيديولوجية على أخرى، هذه النظريات أغلبها جاءت من قبل المعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، فنجد نظرية الإحتواء التي جاء بها "هنري ترومان"، والتي تهدف إلى محاصرة المد الشيوعي من خلال استقطاب دوله، ونظرية الردع النووي بحيث أن امتلاك كلا الطرفين لأسلحة الدمار الشامل مما يحدث توازن في القوة التدميرية بينهما يجعل كل طرف يردع الآخر من الدخول في حرب.

وقد تعددت وسائل وأدوات هذا الصراع منها الأداة الإقتصادية (تقديم المساعدات)، الوسيلة الإعلامية(الدعاية المغرضة)، في حين استبعد العامل العسكري نظرا للقوة التدميرية لكلا الطرفين إلا في بعض المواجهات الهامشية أو ما يسمى بالحروب بالوكالة التي كانت دول العالم مسرحا لها ولم ترق الأسلحة التي استعملت فيها إلى مستوى التدمير¹³.

2-أسباب التحول من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري.

دراستنا لطبيعة الصراع الأيديولوجي الذي كان سائدا أثناء الحرب الباردة، والتي اختلفت عن الصراعات التي شهدها العالم قبل ذلك، على اعتبار أن البعد الأيديولوجي كان المحرك الأساسي لها، جعلنا نكتشف أهم الأسباب التي أدت لمرحلة الإنتقال من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري وهي كالاتي:

1. نهاية الحرب الباردة وتفكك الإتحاد السوفياتي وتراجعته عن فرض الأيديولوجيا الشيوعية خاصة بعد وصول غورباتشوف إلى الحكم في 1985 الذي ساهمت سياسته في بلورة كل أشكال التعارف وفق المنظور الأمريكي بإعلانه سياسة البروسترويكا(إعادة البناء)، والغلاسنوست(العلنية)¹⁴، والتي كانت هزة اجتماعية وسياسية عميقة داخل الإتحاد السوفياتي تمثلت في التوسع في مجال الديمقراطية الذي لم يؤد إلى إعادة البناء، وإنما إلى تفكيك الإتحاد السوفياتي وتراجع دوره كطرف مؤثر في إقامة السلام احتكاما إلى

ما يسمى بـ " التفكير الدولي الجديد" الذي يتمثل في إحلال " توازن المصالح" محل " توازن القوى" في العلاقات الدولية¹⁵، مما شجع على التغييرات التي جرت في أوروبا الشرقية، وفي مقدمتها تحطيم سور برلين وانهيار حلف وارسو الذي أعلنت دوله في 8 جوان 1990 نهايته ونهاية الصراع الأيديولوجي.

2. انتصار الأيديولوجيا الليبرالية كان سببا في نهاية الصراع الأيديولوجي، فجاءت الأفكار التي تنادي بنهاية هذا الصراع أشهرها نظرية نهاية التاريخ للكاتب الأمريكي "فرنسيس فوكوياما 1992" الذي يعتبر أن نهاية الشيوعية هي الإنتصار النهائي للديمقراطية¹⁶، حيث أن العالم كان نظامين فانتهمى نقيض الرأسمالية وهو الشيوعية، وبالتالي انتهى الصراع وانتصار الرأسمالية قد أسفر عن انتهاء التاريخ¹⁷.

3. استعمل الصراع الأيديولوجي أثناء الحرب الباردة كوظيفة لتبرير السلوك من أجل تحقيق المصلحة، فكل طرف كان يريد أن يهيمن على العالم، وبعد انتهاء الصراع كان لزاما أن تأتي الولايات المتحدة الأمريكية بمبرر آخر هو الصراع الحضاري، وهذا ما يرتبط بفكرة العدو التي تقوم عليها سياستها الخارجية، فبعد زوال المعسكر الشرقي (العدو الشيوعي) كان لزاما خلق عدو آخر تبني عليه الولايات المتحدة الأمريكية سياستها وتبرر سلوكها القائم على القوة.

4. نظرا لخطورة نظرية فوكوياما التي تدعو إلى الجمود وفق حركية التاريخ بالقول بانتهائه، وردا على هذا الطرح جاءت فكرة "صموئيل هنتغتون" صدام الحضارات التي اعتبر فيها أن انهيار الإتحاد السوفييتي وضع حدا للصراع الأيديولوجي لكن لم يضع حدا للتاريخ، فالحضارة أو الثقافة وليست السياسة والإقتصاد هي التي سوف تكون مصدر الصراع بين الوحدات الدولية. ومن أهم الافتراضات التي انطلقت منها نظرية صراع الحضارات لهنتغتون أن أكبر المخاطر المتوقعة على الغرب بعد نهاية الحرب الباردة هي ذلك التحالف الإسلامي الكونفوشي المقبل وما يحمله من تهديد للمصالح الغربية وقيمها وسلطتها¹⁸.

ومنه فإن انتهاء الحرب الباردة أدى إلى زوال البعد الأيديولوجي الذي ميزها، وحل محله بعد آخر هو البعد الحضاري الذي أصبح يميز العلاقات الدولية فيما بعد، وأصبحت الأفكار والقيم والدين هي العناصر الأساسية المحركة له.

ثالثا : نتائج التحول من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري

لقد أفرزت عملية التحول من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري مجموعة من النتائج على عدة مستويات .

1- مستوى النظام الدولي

بعد انهيار المنظومة الاشتراكية حدث تحول في مركز القوة العالمية لصالح الولايات المتحدة الأمريكية وبدأت مرحلة جديدة في العلاقات الدولية اصطلاح عليها النظام الدولي الجديد على حد تعبير الرئيس الامريكى الاسبق جورج بوش، وكذا التحديات التي تطرحها ظاهرة العولمة في ضوء طغيان القوة وعدم الاعتراف بالآخر، ومحاولة الهيمنة عليه، وبالتالي تهديد الهوية القومية، والخصوصية الثقافية للشعوب والأمم الأخرى، وكان أهم سمات هذا النظام الأحادية القطبية، واشتداد التنافس الإقتصادي بين الدول على استقطاب رؤوس الأموال والإستثمارات وغزو أكبر قدر من الأسواق، وبالتالي بروز دور العامل الإقتصادي كمحرك للصراع الحضاري.

بالإضافة إلى بروز الإتجاه الكبير نحو التكتلات الإقليمية وازدياد حدة المنافسة بين الدول الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية، والدول الصاعدة كالصين، مع تنامي القدرات الإقتصادية والعسكرية والسياسية للدول الآسيوية، وبروزها كقوة مناهضة للولايات المتحدة الأمريكية، حيث أن التكتلات تقوي الوعي الحضاري، وتصبح ناجحة إذا ما تأصلت في حضارة مشتركة كنجاح النافتا أو التجارة الحرة بين بلاد شمال أمريكا التي تعتمد على اندماج الثقافات المكسيكية الكندية الأمريكية، وعلى العكس فإن اليابان يواجه صعوبة في خلق كيان اقتصادي مماثل في شرق آسيا ، لأن اليابان منفردة كحضارة ومجتمع، وهذا بالرغم من الإرتباطات التجارية والإستثمارية القوية بينها وبين باقي دول شرق آسيا، إلا أن الإختلافات الثقافية بينهم عميقة وقد تحول دون نجاح عملية التكامل الإقتصادي.

كما نتج عن هذا التحول زيادة النزاعات الدولية القائمة على أسس حضارية وهوياتية كالدين، العرق، اللغة¹⁹، والتي كانت تثيرها الأقليات وتغذي من قبل الدول الكبرى خاصة في ظل انتشار العولمة ومحاولة فرض نموذج معين على الدول والتي أسهمت في تشكيل حضارة عالمية جديدة قامت على أساس الثورة العلمية والتكنولوجية، وهذا ما جعل ماكلوهان يتحدث عن تحول العالم إلى قرية الصغيرة.

2- مستوى الدولة:

لقد ظهرت محاولات لاختراق سيادة الدولة القومية من خلال التقليل من سلطاتها والقول بزوالها في ظل تنامي المنظمات الدولية والشركات المتعددة الجنسيات، والضغوطات الخارجية على الدولة من أجل التحول الديمقراطي وتغيير الانظمة السياسية، وإصلاح التعليم والأسرة والتنشئة الإجتماعية خاصة في البلدان العربية والإسلامية، فلم تعد الدولة هي الفاعل الوحيد في العلاقات الدولية في ظل بروز دور فواعل جديدة كالمنظمات غير الحكومية التي أصبح لها تأثير كبير على سيادة الدولة.

زيادة التدخل الأجنبي والرغبة في السيطرة والهيمنة وعدم احترام سيادة الدول ووحدتها الإقليمية واستقلالها السياسي والتدخل في شؤونها الإقليمية كانت أيضا من أهم انعكاسات الصراع الإقليمي على الدولة، وعلى سبيل المثال تصاعدت الإتهامات الموجهة للعديد من المنظمات الإسلامية والعربية بارتكاب عمليات إرهابية ضد المصالح الغربية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر التي استهدفت أهم المنشآت الأمريكية ، وهو ما أدى إلى غزو أفغانستان والعراق، وهذا تجسيد لمبدأ خلق عدو وهي لتبرير سلوكيات معينة، وهي أحد أهم مرتكزات السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

3- مستوى الفرد

لقد نتج عن التحول في طبيعة النظام الدولي والانتقال إلى مرحلة الصراع الحضاري زيادة أهمية عامل الإلتواء الحضاري لدى الفرد بإحساسه دوما أنه يعيش في ظل صراع حضاري يجب أن يحدد عدوه فيه، ومن ثم غرس فيه أفكار عدائية تؤدي بالآخرين إلى استغلالها مثلما حدث مع أسامة بن لادن والولايات المتحدة الأمريكية التي جعلت منه شخصية إرهابية وجب محاربتها وذلك لتبرير سياسة التدخل العسكري خاصة في الدول الإسلامية مثلما حصل في العراق وأفغانستان لتعزيز وجودها في هذه المناطق الإستراتيجية، وهو ما عزز من مشاعر العداية لدى الفرد المسلم تجاه القوى الغربية التي تتعامل بسياسة الكيل بمكيالين في العديد من القضايا الدولية وأبرزها القضية الفلسطينية.

بالإضافة إلى ظهور أزمة الهوية التي أدت إلى تشتيت الأفراد وجعلهم غير قادرين على التكيف مع النظم السائدة التي عملت على الذوبان والإنصهار في الحضارة الغربية بالرغم من الشعور بالإختلاف عن هذه الحضارة في الفكر والثقافة.

4- مستوى التصورات والقيم

لقد انعكس التحول من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري على طبيعة التصورات والقيم للبناء الحضاري للمجتمعات من خلال إذكاء الفروقات الموجودة بين الحضارات على أساس التاريخ، اللغة، الثقافة، الدين، العادات والتقاليد ، بالإضافة إلى ظهور مواضيع جديدة وضعت لتغذية الصراع وأدت إليه، مثل أسلحة الدمار الشامل، الإرهاب الدولي، حقوق الإنسان، وهي كلها مواضيع استحدثت من طرف الحضارة الغربية كذريعة لتعميم نفوذها الحضاري في مواجهة الحضارات الأخرى، وهو ما أدى إلى اشتداد العداء بين الغرب والإسلام نظرا لأن كل من الطرفين له قيما مختلفة عن الآخر.

ومن تداعيات هذا التحول ظهور أطروحات معادية لأطروحة صدام الحضارات كأطروحة حوار الحضارات التي كان من بين روادها الرئيس الإيراني " محمد خاتمي" والذي رأى أن الحضارات تتفق في عدة عناصر يمكن من خلالها أن تتحاور وتتعايش بسلام.

لذلك فقد انعكست التحولات التي عقيت انتهاء الحرب الباردة، وظهور النظام الدولي الجديد على طبيعة الصراع الدولي ، بالتحول من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري الذي يكاد يجمع المختصين بأنه أخطر من الصراع الأيديولوجي لأنه يركز على الإختلافات القيمة والفكرية والثقافية والدينية التي توظفها الدول الغربية لتحقيق مشروع الهيمنة والسيطرة على الآخر المختلف معهم ، ولهذا جاء تصنيف محور الخير ومحور الشر، كما أن أطروحات الصراع كان هدفها تجسيد مركزية صناع القرار العالمي واستمرار هيمنة وسيطرة العالم الغربي وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الدولي انطلاقا من المدخل الحضاري الذي يعتبرون فيه أن الاختلاف الثقافي دليل على الانقسام والتصارع.

يعتبر هذا الطرح حسب كثير من الباحثين عبارة عن نظرة شمولية يفترض ألا تصدر عن الغرب الديمقراطي، كما أن تاريخ الحضارات ونشأتها يؤكد أن التعدد والاختلاف سمة عامة في أغلب الحضارات الإنسانية عدا محطات قليلة في فترات الانحطاط والتراجع، وقد كانت أطروحات الصراع توظف دائما لتحقيق أغراض معينة ، فالعهد الإستعماري الذي شهدته مختلف دول العالم اعتمد على سياسة فرق تسد حيث عمل على وتر الاختلاف وتناقضاته، والتمايز بين الشعوب لتأليب الإثنيات والمذاهب وحتى الديانات بعضها على البعض الآخر، بهدف استمرار احتلاله، وهذا في إطار الحضارة الواحدة.

أما بالنسبة للحضارات المختلفة، فإن صراعها كان لأسباب اقتصادية أو سياسية ولم يكن الاختلاف الثقافي المبعث الأول للصراع، حتى الحروب الصليبية لم يكن أساسها الاختلاف الديني كما يعتقد البعض رغم حملها للشعارات الدينية، وإنما الدافع الأول لتلك الحروب كان سياسيا واقتصاديا²⁰.

لذلك وجب منا كباحثين وأكاديميين أن ننبه لخطورة توظيف أطروحات الصراع وتغذية الإختلافات الموجودة في مجتمعاتنا الإسلامية التي يراد منها تفكيك وتقسيم دولنا على أساس عرقي وديني لإضعاف موروثنا الحضاري الإسلامي الذي كان أساس تماسك الحضارة الإسلامية أمام مختلف المشاريع التغريبية القائمة على التفوق والإستعلاء.

الخاتمة :

إن نهاية الصراع الأيديولوجي الذي كان في إطار الحرب الباردة أدى إلى صراع أخطر منه هو الصراع الحضاري، وهو مفهوم مبتكر من قبل الغرب لتبرير سلوكياتهم اتجاه غيرهم وملاً الفراغ الذي تركه زوال العدو الأيديولوجي، لذلك وجب علينا نحن كمثقفين وكمسلمين أن نكون على يقين ودراية بهذه السياسة الغربية التي تسعى إلى إفراغ حضارتنا الإسلامية من محتواها الروحي، وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- 1-نهاية الحرب الباردة وانهار الإتحاد السوفييتي كانت مرحلة فاصلة في تاريخ الصراعات الدولية بفعل التحولات التي أفرزتها خاصة على مستوى بنية النظام الدولي.
- 2-يعتبر التحول من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري من أهم نتائج نهاية الحرب الباردة وظهور النظام الدولي الجديد.
- 3- يعتبر البعد الديني محركاً أساسياً للصراع الحضاري والذي تم توظيفه من قبل الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية لنشر مشروعها المغلف بمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان.

4- لقد ساهمت مؤسسات العولمة بأبعادها السياسية والإقتصادية والثقافية والإعلامية في تعقيد ظاهرة الصراع الحضاري التي ميزت فترة ما بعد الحرب الباردة.

5-يعتبر الحوار الحضاري السبيل الأمثل لتحقيق الأمن والسلم الدوليين المهديين بشكل كبير في ظل أطروحات الصراع التي تروج لها الكثير من الأطراف خدمة لمصالحها وتحقيقاً لأهدافها القائمة على السيطرة والهيمنة على الدول خاصة الضعيفة منها.

6-تحمل الدول الكبرى لمسؤولياتها الكاملة في نشر أطروحات الصراع الحضاري وتأجيج الصراعات والحروب في العالم يعد خطوة مهمة في تحقيق مفهوم العالمية كبديل للعوامة، بحيث يتم التوافق على كل ما هو مشترك بين الإنسانية مع احترام الاختلافات الثقافية والدينية مثلما نصت عليه مختلف المواثيق الدولية التي ظلت مجرد شعارات لم تجد لها سبيلا نحو التجسيد. وهو ما يتطلب الإستعداد والرغبة الصادقة التي يعبر عنها توفر الإرادة السياسية لدول العالم في تبني ونشر مبادئ الحوار والتعايش واحترام خصوصية الآخر كبديل عن الصراع و النزاع والتطرف والإقصاء وغيرها من المفاهيم التي تدعو للعنف والصدام.

وقد ارتأينا في نهاية هذه الدراسة إلى تقديم مجموعة من التوصيات أهمها:

- 1- تنظيم ملتقيات وندوات علمية لمعالجة ظاهرة الصراع من خلال الوقوف عند الأسباب الحقيقية التي تحركها، واقتراح الحلول الفعالة لمختلف الصراعات في العالم.
- 2- تبني الحوار كسلوك حضاري في تعاملاتنا اليومية ونقاشاتنا العلمية من أجل خلق ثقافة مجتمعية مبنية على قيم الحوار والإحترام خاصة في حل مشاكلنا مع الآخر.
- 3- التحذير من خطورة الأفكار الدخيلة على قيمنا الثقافية والحضارية والتي تهدف إلى تغذية الصراعات خاصة في الدول العربية والإسلامية من خلال مجموعة من الوسائل، وفي مقدمتها الوسيلة الإعلامية، وهو ما يتطلب ضرورة معرفة محتوى المادة الإعلامية التي تصل إلينا مع العمل على غربلة الأفكار الهدامة لهويتنا الثقافية خاصة في ظل تنامي ظاهرة العوامة.
- 4- إنشاء مراكز بحث تهتم بمواضيع إدارة الصراعات الداخلية والخارجية، مع الحرص على تقديم تقارير دورية ناتجة عن عملية البحث والدراسة لمختلف الصراعات بشقيها العلمي والعملية .

الهوامش:

- ¹ مالك عيد أو شهرة، محمود محمد خلف، الإيديولوجيا والسياسة، ليبيا: الدار الجماهيرية، 1993، ص 17
- ² ديفيد هوكس،، الإيديولوجيا، ، ترجمة غبراهيم فتحي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 10-8
- ³ المرجع نفسه.
- ⁴ السيد يسين، الحوار الحضاري في عصر نهضة العولمة، مصر: دار النشر، 2002، ص ص 29-30.
- ⁵ المرجع نفسه، ص 31.
- ⁶ المرجع نفسه.
- ⁷ -Jim Chappelw , Conflict Theory, 19 May, 2019
- ⁸ عبد الرزاق مقري " صدام الحضارات (محاولة للفهم)" مجلة النائب، عدد2، 2003، ص58.
- ⁹ المرجع نفسه..
- ¹⁰ <https://mawdoo3.com> vu 27-02-2019.
- <https://www.investopedia.com/terms/c/conflict-theory.asp>
- ¹¹ -Jonathan Leader Maynard ,St Antony's International Review, Vol. 10, No. 2, The Resurgence of Identity Politics (February 2015), pp. 18-52
- ¹² عبد القادر رزق المخادمي، النظام الدولي الجديد، الجزائر: ديوان المطوعات الجامعية، 1999، ص 09.
- ¹³ محمد زكريا اسماعيل، "النظام الدولي الجديد بين الوهم والخديعة"، المستقبل العربي، عدد 43، جانفي 1991، ص 3.
- ¹⁴ عبد القادر رزق المخادمي، مرجع سابق، ص 16.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 17.
- ¹⁶ عبد الرزاق مقري، صدام الحضارات، مرجع سابق، ص 58.
- ¹⁷ محمد الفرجاني حصن، افريقيا وتحديات العولمة، بيروت:الدار المصرية اللبنانية، 2002، ص 45.
- ¹⁸ عبد الله العليان، من صراع الحضارات إلى تعايشها، مجلة الكتب العربية، 2003:
- <https://www.alarabimag.com/Article.asp?ART=10547> vu/21-03-2019.
- ¹⁹ - Jonathan Leader Maynard ,op 18.
- ²⁰ المرجع نفسه.